دور المرأة في بناء الأمة

د. محمد بن لطفي الصباغ

إن من عوامل النهضة والتقدم أن يعيَّ أبناء المجتمع وبناته كلٌّ دوره في بناء أمته ، وليس من شك في أنّ منهم من يكون تابعاً ، ومنهم من يكون متبوعاً ، ولكن لكلٍّ دورٌ مهما يكن صاحبه ، ولكلٍّ دورٍ وزنه وأثره ، وباجتماع هذه الأدوار وتكاملها يتحقق الهدف المرجوّ إن شاء اللهُ .

وللمرأة من حيث هي دور كبير في بناء الأمة ، كما أنّ للرجل دوراً كبيراً في هذا المجال .

« **نَعَمْ . إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَال** » كما جاء في الحديث الذي أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والدارمي[1] ، فهنَّ يشاركن الرجال في المسؤولية ، وعليهنّ أن يتحملن هذه المسؤولية . وليس صحيحاً أن يتخلين عن حملها ، ويلقين المسؤولية على الرجال وحدهم .

إنَّ رسول الله ﷺ يحمّل المرأة المسؤولية بنصّ صريح في قوله ﷺ : « **كُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ : الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَهِيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه** » رواه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي[2] .

إذن فالرجل والمرأة مسؤولان ، ولن يُعْفَى واحدٌ منهما من تحملها لأن الآخر مسؤول ، كلاّ ، إنّ لكل منهما مجالاً ربّما لا يتأتى للآخر أن يقوم به ، وبالتعاون يكون التكامل والنجاح . ومعلومٌ أنّ المسؤولية تعظم كلما عظمت إمكانيات الإنسان وقدراته ومنـــزلته في المجتمع .

---

(1) المسند ٢٥٦/٦ والترمذي برقم ١١٧ وأبو داود ٢٣٦/١ والدارمي ١٩٥/١ .

(2) المسند ٥/٢ والبخاري برقم ٨٩٣ ومسلم ١٨٢٩ وأبو داود ٢٩٢٨ والترمذي ٣٣/٣ والنسائي

إن دور المرأة في بناء الأمّة كبير جداً ، وإن تأثيرها كبير جداً في الأولاد ، وفي الزوج ، وفيمن تعاشر من القريبات والصديقات والزميلات . ويؤسفني أن أقرر أن بعض النساء يتخلين عن القيام بهذا الدور ، ويرضين لأنفسهن أن يكنّ مهملات لا يسهمن في بناء .

– إنّ لها دوراً في غرس العقيدة وتأصيلها وترسيخها ، وفي إصلاح الخلل الذي قد يعروها .

– وإنّ لها دوراً في التربية : تربية من حولها على الأسس الإسلامية السليمة والأخلاق الإسلامية الفاضلة .

– وإنّ لها دوراً في اقتصاد الأسرة ، التي هي اللبنة الأولى في كيان الأمة ، ويبدو الفرق جلياً بين امرأة صالحة مدبرة مقتصدة تجعل أسرتها في بحبوحة واكتفاء ، وبين امرأة مبذرة مسرفة تجعل زوجها وأسرتها في فاقة وضنك .

– وإنّ لها دوراً في التوجيه والتقويم والإصلاح . وهذا الدور جليّ واضح بالنسبة للأولاد إذ يتلقى الطفل معلوماته الأولية ، وقيمه وفكره من أمّه أول ما يتلقى . وكذلك فإنّ لها دوراً في كثير من الأحيان في إصلاح الزوج وإسعاده إن كانت من الصالحات .

ولقد ذكر سيدنا رسول الله ﷺ أنّ النساء على ضعفهنّ يغلبن الرجل العاقل ذا اللبّ . يقول ﷺ : « ... **مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ** ... »[٣] . هذه رواية البخاري ، وفي رواية مسلم « **أَغْلَبَ لِذِي لُبٍّ مِنْكُنَّ** » .

أجل .. إنّ المرأة الصالحة – إذا شعرت بمسؤوليتها – لتستطيع بما لها من الأثر الفعّال أن تغيّر سيرة زوجها فتجعله من الصالحين .

أعرف مجموعة من الرجال كانوا ناساً يغلب عليهم التقصير في أداء الواجبات ، ويقعون في بعض المحرمات .. وهدى الله أزواجهم بفضل استماعهنّ لمواعظ مؤثرة ، فتغير حالهنّ والتزمن طريق الهدى .. وما لبثن أن أثّرن في أزواجهنّ ، فتغيرت سيرتهم ، وأصبحوا

(3) البخاري برقم ٣٠٤ ومسلم برقم ٧٢ وأبو داود برقم ٤٦٧٩ وابن ماجه برقم ٤٠٠٣ وأحمد ٣٧٣/٢ والترمذي برقم ٢٦١٣ .

يؤدون الواجبات على أتمّ وجه ، ويبتعدون عن المحرمات ابتعاداً تامّاً ، وتبنّوا الفكر الإسلامي الذي يلتزم بالكتاب والسنة وصاروا يحاكمون الأمور كلها على ضوئهما .

ولو نظرنا في أحداث التاريخ لوجدنا أنّ للمرأة في كثير من الأحيان دوراً كبيراً في حركة الأحداث : إن كانت صالحة حركت الأحداث إلى الصلاح والخير ، وإن كانت سيئة حركت الأحداث إلى الفساد والشر .

– إنّ الدور العظيم للمرأة في الإصلاح والبناء لا يمكن أن يتحقق وتُلمس آثاره إلا إذا وجدت رائداتٌ من الفضليات يتقدمن الصفوف ضاربات بسلوكهنّ وبيانهنّ أمثلة حيّة للفضيلة والقيم المثلى .. رائداتٌ للأمة وللأجيال المقبلة .. رائداتٌ آمنّ بالله عن معرفة ويقين ، وقمن بما أوجب الله عليهنّ من الواجبات ، والتزمن بكل ما أمرهن الله به من الحجاب والزيّ الشرعي في اللباس وطاعة الزوج ونحو ذلك ، والبعد عمّا حرّم الله ، وكنّ بسلوكهنّ داعيات إلى دين الله والفضيلة . وإني لأرجو أن تظهر دراسات ومؤلفات تناقش المطلوب من المرأة في عملية البناء والأسلوب الناجع في ذلك بتفصيل مدعوم بالأدلة والبراهين ، وأن تعقد ندوات ومحاضرات في هذا الموضوع لعل ذلك يسهم في إلقاء الضوء على المنهج السليم الذي ينبغي سلوكه .

إنّ حضارة الغرب الماديّة الكافرة الغازية دخلت علينا فأفسدت تصور كثير منا للكون والحياة والإنسان والعقيدة ، وأفسدت سلوكهم ، وجعلت اللذة والمصلحة المادية مطلبين مقدّمين ولو كانا من طريق الحرام .. وإنا لله وإنا إليه راجعون .

ولا بُدّ من مواجهة هذا الواقع بأمور إيجابية تتجلّى بفكر ملتزم ، وسلوك ملتزم ، تحمله طلائع من المؤمنين والمؤمنات ، الداعين والداعيات ، الصالحين والصالحات .

والمرأة في نظري هي العنصر الذي يعطي للمرء الوافد على بلدٍ ما صورة صادقة عن هذا البلد ، وهذا المجتمع :

فإن كانت ملتزمة بالإسلام في زيّها وحجابها وملابسها وخلقها وفكرها دلّت على أن هذا البلد ملتزم بالدين والخلق القويم ، ودلّت على أن هذا المجتمع متماسك متميز لم يذب في المجتمع الأوروبي ، وإن كانت فاسدة مستهترة منحرفة في زيّها وحجابها وملابسها وخلقها وفكرها دلّت على أن هذا البلد بلد فاسد منحرف ، ودلّت على أن هذا المجتمع منهزم أمام ذاك الغزو الكاسح .

إننا بحاجة إلى أن نرى هذه الطلائع من الروّاد المسلمين الصالحين والرائدات المسلمات الصالحات اللاتي يعتززن بالإسلام ، ويعملن على الدعوة إليه بالقول والعمل .

قضت إرادة الله سبحانه أن يتفاوت الناس في العلم والذكاء ، والمقدرة والإدراك ، والتأثير في الآخرين ، وهذا عام في الرجال والنساء .

فهناك فريق أهّلتهم مواهبهم ، وظروف معيّنة أحاطت بهم إلى أن يكونوا قادة فكر ، وأئمة متبوعين ، ودعاة مؤثرين .

وهناك فريق لم يُؤتوا مثل ذلك من المواهب ، ولم تتح لهم مثل تلك الظروف ، ولكنّهم أوتوا المقدرة على التنفيذ . وكلٌّ ميسّر لما خلق له ، ولكل وجهة هو موليها .

وعملية البناء تحتاج إلى الفريقين .. فريق يخطط وينظم ويقود ، وفريق يعمل وينفذ ، ويشير وينصح لأن الواقع العملي قد يفرض تعديلاً في الخطط يدركه العاملون المنفذون . والدور المطلوب أن تقوم به المرأة في البناء أن يشترك فيه الفريقان كلٌّ حسب استعداده .

إنّ على الأخوات المثقفات الداعيات المؤثرات أن يتقدمن لهذا الواجب المتعيّن بهمة لا تعرف الكلل ولا بُدّ من أن يكون عملهنّ ذا شقين :

– شق يتضمن فضح شياطين الإنس والجن الذين يعملون على هدم عقيدة الأمة وخلقها وإنكار هذا المنكر .

– وشق يتضمن أمراً إيجابياً يتمثل في التربية العملية والتوعية وإنشاء جيل مسلم .

مطلوبٌ من كل أخت ولا سيّما إذا كانت مثقفة أن تعمل على رفع مستواها العملي والفكري والدعوي ، وأن تستمر في تحصيل المزيد من المعرفة ، وهي إن شاء الله بالغة كثيراً مما تريد إن هي أحسنت الإفادة من كل دقيقة من حياتها .

إنّ عليها أن تشعر بمسؤوليتها أمام الخطر الداهم الذي يهاجم أمتنا : خطر التبذّل والتعرّي والإباحية الجنسية وخطر القضاء على الأسرة .. فإن أعداء الله يجندون كل قواهم ووسائلهم للوصول إلى هدم الأسرة بنشر الإلحاد والإباحية في أوساط المسلمين .

إنهم في بلادهم وصلوا إلى الإباحية الجنسية ، وزلزلوا مكانة الأسرة ، وهم يريدون أن ينقلوا إلينا هذا الوباء المدمّر .. لقد أدركوا أن الأسرة المسلمة خطر عليهم ؛ لأنها تخرج رجالاً ونساءً ملتزمين بالدين وهؤلاء لا يمكن أن يكونوا تابعين لهم ولا

خدماً يحققون مصالحهم .. من أجل ذلك فهم يسخرّون الفن والمسرحيات ، ووسائل الإعلام والفضائيات ، والكتب والنشرات والمؤتمرات لهدم الأسرة .

إنّ كلمة قوية محكمة من المرأة في إنكار هذا العدوان أبلغ في الردّ من كلمة من الرجل .. لأنها هي الضحية وهم يدّعون زوراً أنهم يعملون لمصلحتها .. إنها هي المعرّضة الأولى للخطر ثم الأسرة فالمجتمع ، وعندئذٍ قد يكون الدمار .

إنّ مؤتمرات تعقد في إثر مؤتمرات يراد منها تفكيك الأسرة ، والقضاء على مؤسسة الزواج وترك الناس كالبهائم لا يضبط تصرفاتهم الجنسية ضابط ، ومن ثم تضيع هوية الأمة ، ويقضى على الفضائل والقيم المثلى ، وتسود الفاحشة والرذيلة ، ويحارب الدين الذي يعدّونه عقبة يحول دون نشر فسادهم . والذي يهمنا من ذكر هذه المؤتمرات أن ننتبه على الخطر الذي يستهدف أمتنا

إنّ هذا الخطر لا بُدّ من مواجهته من قبل الرجل والمرأة .. إنه والله خطر محقق يتهدد وجودنا كله .

ألم يأتكم نبأ (مؤتمر لاهاي) الذي عقد في لاهاي من هولندا في شهر شباط/فبراير من عام ١٩٩٩م ، وقد دعي إليه شباب من بلاد المسلمين وغيرها ، وكان هؤلاء الشباب تتراوح أعمارهم بين السادسة عشرة والثامنة عشرة ، وكان الهدف الأول هو الاستماع إلى صوت شباب العالم فيما يخصّ وثيقة مؤتمر السكان الذي عقد في القاهرة عام ١٩٩٤م .

وهذه الوثيقة مملوءة بالخزي والتدمير للأخلاق والدين ، وقد هاجمها علماء المسلمين في جميع أقطار الأرض ، وهاجمتها أيضاً جهات غير إسلامية من أتباع الأديان الأخرى . ثم عقد في عام ١٩٩٥م (مؤتمر المرأة) في بكين في الصين ، وخرجت من رحاب هذا المؤتمر سبعة آلاف امرأة ومعهم بعض الشباب في صفوف متراصة يطالبون بإقرار الشذوذ والإباحية .

وكان من توصيات مؤتمر لاهاي الأخير تشجيع الفتيان والفتيات على تعاطي الفاحشة واتخاذ وسائل الوقاية من الحمل دون الرجوع إلى الأبوين ، وعلى تشجيع الإجهاض والإقدام عليه دون استئذان الأبوين ، وعلى دعوة الحكومات أن تقرّ هذا الحق وتسهّل إجراءه ، ومن توصيات هذا المؤتمر إقرار الشذوذ واعتباره أمراً مسموحاً به والاعتراف به قانونياً .

ثم عقد في شهر آذار/مارس ١٩٩٩م مؤتمر في نيويورك للتصديق على الوثائق والتوصيات ، وعقد في الشهر ذاته في نيويورك أيضاً مؤتمر عالمي حول العنف ضد النساء في سبيل تأجيج العداوة بين الرجل والمرأة [٤] .

إنّ ذلك عدوان على الفطرة السليمة ، والقيم الفاضلة ، وعلى حكم الدين .

وإنّه انتكاس في سلوك الإنسان ما عرفته البشرية هذا النحو الفاجر قبل هذه الأيام .

إنّ هذا العدوان وهذا الانتكاس يبغي أعداء الله أن يتسللوا به إلى بلادنا ، وينشروه بين أولادنا ، لتدمير أمتنا .

إنّ هذه المؤتمرات يراد بها المسلمون ، لأن كل هذه التوصيات التي تصدرها محققة في بلاد الغرب ، فالإباحية قائمة هناك ، والشذوذ معترف به هناك وإباحة الإجهاض قائمة هناك .. إنهم يريدون تدمير حياتنا بالقضاء على الأسرة كما دمرت حياتهم ، قال تعالى : ﴿ **وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلاَ تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ** ... ﴾ [النساء : ٨٩] ، يخبرنا ربنا أنهم يودون لو نكون مثلهم ، وحذرنا من اتباعهم . نسأل الله ﷻ أن يصون المسلمين من مكرهم ، وأن يردّ كيدهم في نحورهم .

من الذي يقف أمام هذا العدوان الصارخ إلا الفضلاء والفضليات من المسلمين ؟

إننا نريد إيقاف هذا العدوان الذي يستند إلى قوى خارجية ، ولا ينفع في هذا المجال التألم والنقد والإنكار فقط ، وإن كان ذلك مطلوباً .. بل نريد أن يقوم تيار إسلامي تقوده مؤمنات فاضلات ، يقوم على منهج وخطة مدروسة وعلى فكر يعيش العصر الحالي واتجاهاته ، ويدرك أبعاد القضية المطروحة . ولكي يكون البناء محكماً وقائماً لا بد من إيقاف عمليات الهدم المتمثلة بما ذكرنا ونحوه . ولله در القائل :

متى يبلغ البنيـــان يوماً تمامـــه ... إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم
فكيف بناء خلفه ألف هادم ... وألف وألف ثم ألف وأعظم[٥]

---

(4) جريدة الشرق الأوسط عدد ٧٣٨٤ ت ١٤١٩/١٠/٢٩هـ (١٩٩٩/٢/١٥م) ، ومجلة المجتمع عدد ١٣٤٣ ت ١٤١٩/١٢/٥هـ (١٩٩٩/٣/٢٣م) .

(5) أقوال مأثورة وكلمات جميلة ص١٤١ .

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

« **مَا مِنْ مَوْلُودٍ إلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ ، كَمَا تُنْتِجُونَ الْبَهِيمَةَ ، هَلْ تَجدُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ ، حَتَّى تَكُونُوا أَنْتُمْ تَجْدَعُونَهَا** » ثم قال أبو هريرة : واقرؤوا إن شئتم ﴿ **فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ** ﴾ وفي رواية : « **وَيُشَرِّكَانِهِ** » وفي رواية « **وَيُمَجِّسَانِهِ** » (٦)

هذا الحديث العظيم أصل مهّم يبيّن أهمية الدور الذي يقوم به كل من الأبوين في رعاية عقيدة الأولاد ووظيفتهم التي يجب أن يقوموا بها .

إن كل مولود يولد على الفطرة ، لكن الأبوين هما اللذان يشوّهان تلك الفطرة ، فهم اللذان يهوّدانه ، أو ينصّرانه ، أو يمجسّانه ، أو يجعلانه مشركاً ، أو يجعلانه ملحداً .

إن كونَ كلِّ إنسان يولد على الفطرة عونٌ للأبوين على غرس العقيدة الصحيحة فلا يجدان عسراً ولا صعوبة ، لأنهما ينمّيان هذه الفطرة ، ويحوطانها بالوقاية والحماية من جراثيم الضلال والانحراف .

وما دمنا نتكلم عن دور المرأة في بناء الأمة فهذا الحديث الشريف يقرر حقيقة ملموسة يجب أن تكون منطلقاً في العملية التربوية التي يجب أن تقوم بها المرأة .

إنَّ على المرأة أن تدرك أهمية المهمة التي هي مكلفة بها .

إن الأساس الذي تقوم عليه هوية الأمة هو عقيدتها ونظرتها إلى الحياة والكون والإنسان .. أجل إن العقيدة تمثل الركن الأول والأهم في هوية الإنسان وفي هوية الأمة .. وتأتي بعد ذلك الشريعة والسلوك .. وكذلك التأريخ والتوقيت واللباس وطراز السكن .. إنها جميعاً هي العناصر التي تميّز أمة عن أمة ، فإذا أضاعت أمة عقيدتها وتخلّت عنها ، وتنكرت لشريعتها ونبذتها وراء ظهرها ، وخالفت قواعد السلوك المنبثقة عنهما ، وقلدت أعداءها وتشبهت بهم ، وأرّخت بتأريخهم ، واستعملت توقيتهم ، وقلدتهم في ملابسهم وفي طراز سكناهم ، فإنها تكون قد حكمت على نفسها بالفناء .

(6) رواه البخاري بالأرقام ١٣٥٨-١٣٥٩-١٣٨٥-٤٧٧٥ ومسلم برقم ٢٦٥٨ والترمذي برقم ٢١٣٨ وأحمد ٢/٢٥٣-٢٧٥-٢٨٢-٣٤٦-٣٩٣-٤١٠-٤٨١

يقول ﷺ : « **مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ** » (٧) .

يجب على الأبوين أن يعطيا هذا الموضوع حقه من الاهتمام والرعاية .

إنّ الإيمان بالله تعالى وبصفاته العلا من الوحدانية ، والقدرة ، والرحمة ، والعدالة ، والرزق ، والإحياء ، والإماتة ، والعظمة والحكمة ، وأنه سريع الحساب ، وأنه عزيز ذو انتقام ، ... إن الإيمان بذلك يأتي في أوليات العقيدة .

وإن الإيمان باليوم الآخر .. وسائر أركان الإيمان المعروفة هي من العقيدة التي يجب أن يؤمن به كل مسلم والتي يجب أن نربي عليها أولادنا ومن يكون تحت أيدينا . وقد جاء في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي نقل إلينا الحوار الذي جرى بين جبريل عليه السلام وبين النبي ﷺ إذ قال جبريل : أخبرني عن الإيمان . قال ﷺ : « ... **أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَنْ تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ** ... » .

يجب أن تلقن الأمُّ الطفلَ في أول مراحل وعيه وإدراكه ذلك كلَّه .. ويجب أن تُلقيه عليه باللغة التي يفهمها الطفل ، وتلح على هذه الأمور مرات ومرات ، وتوضحها بما تستطيع من توضيح .

وكذلك فإنّ عليها أن تشرح له معنى الأذكار التي يسمعها مثل (الله أكبر) و (الحمد لله) و (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وأمثال ذلك .

ونحمد الله تعالى أن العقيدة الإسلامية ميسورة الفهم ، تتجاوب مع الفطرة وتتماشى معها ، ويقبلها العقل . والمهم أن تقوم الأمّ بهذه المهمة ، وينبغي أن يكون بينها وبين الأب تعاون في ذلك فكلٍ منهما يكمل الآخر .

وعلى المرأة أن تبلغ هذه العقيدة أيضاً كلَّ من تلقاه من النساء مهما كانت أعمارهنّ وأوضاعهنّ ومستوياتهنّ ولتذكر قول سيدنا رسول الله ﷺ : « **بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً** » (٨) .

---

(7) رواه أبو داود برقم ٤٠٣١ وهو حديث صحيح .

(8) رواه البخاري ٣٤٦١ .

إننا بحاجة ماسّة إلى أن نجد عدداً من الداعيات إلى الله ، والوسائلُ اليومَ ميسّرة عن طريق الصحف والنشر والهاتف والبريد والإنترنيت ، والكلمة الطيبة ، ولنغتنم الزيارات والمناسبات .

وعلى كل امرأة مثقفة أن تزداد علماً بالإسلام ، وأن تخصص وقتاً يومياً تلتزم فيه بالقراءة المنهجية الهادفة ، وعليها أن تحضر مجالس العلم .

وعليها أن تعنى بالعقيدة عناية خاصة حتى تتضح معالمها في ذهنها وتستوعب قضاياها .. إنها إذا بلغت ذلك كانت أقدر على نقل قضايا العقيدة إلى الأخريات بشكل مؤثر وواضح .

ودراسة العقيدة في كتب السنة أفضل ؛ لأن قراءتها في تلك الكتب يربط العقيدة بالحياة ، فلا تبقى قضايا العقيدة أموراً مجردة قائمة في الذهن .. بل تكون موصولة بالحياة .

ولننظر إلى هذا الحديث الصحيح الجميل :

« **الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً : أَعْلاَهَا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ** »

وقد قام الإمام البيهقي المتوفى ٤٥٨ رحمه الله بتأليف كتاب قيم في شرح هذا الحديث وهو (الجامع لشعب الإيمان) وقد طبع في عشرين مجلداً .

وسبقه إلى هذا الموضوع بالتأليف آخرون .

والناظر لعناوين أبواب الإيمان في كتب السنة التي عقدت للإيمان أبواباً يرى هذا المعنى واضحاً كل الوضوح .

من الطبيعي أن أداء هذه المهمة العظيمة وهي غرس العقيدة يقتضي أن تكون المرأة ملمّة بأصول العقيدة ، إلى أن العقيدة الإسلامية ميسورة الفهم يستطيع أن يدركها بسهولة الصغير والكبير ، والمثقف والأميّ . وقلنا إن دراسة أمور العقيدة في كتب السنة يربط العقيدة بالحياة ، ذلكم لأن المشكلة التي يعاني منها المجتمع المعاصر هي الفصام والانقطاع بين مفردات العقيدة وبين حياة الناس وسلوكهم .

إن الإيمان مرتبط بالعمل ، وإننا لنقرأ في كتاب الله تعالى اقتران الإيمان بالعمل ، وتكرر هذا في الكتاب الكريم أكثر من سبعين آية .

والإيمان له بضع وسبعون شعبة من نحو الحياء وإماطة الأذى عن الطريق .. كما جاء في الحديث الصحيح .

إن اتخاذ المرء عقيدة صحيحة يرفعه إلى مستوى كريم جدير بمن يكون إنساناً كريماً .. وإنسان بلا عقيدة إنسان تافه إذ يكون قد رضي لنفسه أن يكون بمنـــزلة البهيمة التي لا تعقل ، بل يكون أضلّ منها ؛ لأنه عطل العقل الذي وهبه الله إياه وعطّل سمعه وبصره اللذين بهما يتعلم الإنسان ويزداد معرفة وهداية .

قال تعالى : ﴿ ... **لَهُمْ قُلُوبٌ لاَ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمْ الْغَافِلُونَ** ﴾ [الأعراف : ١٧٩]

إنّ كل شيء في هذا الوجود يدل على الخالق وعلى صفاته الكريمة

وفي كل شيء له آيـــة تدلّ على أنه واحد

بل لو تأمل الإنسان في ذاته وأعضائه وأجهزته لتبين له إحكام خلق الله قال تعالى : ﴿ **وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ۞ وَفِي أَنفُسكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ** ﴾ [الذاريات : ٢٠-٢١] ، وقال تعالى : ﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ** ... ﴾ [فصلت : ٥٣]

إنَّ على الأخت الفاضلة التي تريد أن تسهم في بناء أمتها .. إن عليها عندما تريد تقرير العقيدة السليمة أن تكون على معرفة تامة بالعصر الذي تعيش فيه .. هذا العصر الذي تقوم فيه حضارة مادية ضخمة متنكرة للدين أي دين ، معادية للفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها .. عاملة على تشويهها وهدمها .. وهي الحضارة الغربية .. وهذا الواقع خطير لأنه يمكن أن يسوق الإنسانية إلى الدمار .

يقول أحد المفكرين : (خط الحياة الحالي يمضي يوماً بعد يوم في تدمير خصائص الإنسان وتحويله إلى آلة من ناحية ، وإلى حيوان من ناحية أخرى .. وإذا كان هذا الخط لم يصل إلى نهايته بعد ؛ وإذا كانت آثار هذه النهاية لم تتضح اتضاحاً كاملاً .. فالذي ظهر منها حتى اليوم في الأمم التي وصلت إلى قمة الحضارة المادية ، يشي بتناقص الخصائص الإنسانية وضمورها وتراجعها ، بقدر ما يشي بنموّ الخصائص الآلية والحيوانية فيها وتضخمها وبروزها .. وهذا يكفي

لتقرير أن خط الحياة الحالي يمضي يوماً بعد يوم في تدمير خصائص الإنسان ، ولتقرير أن الحياة الإنسانية لا يمكن – إذن – أن تمضي مع هذا الخط إلى نهايته .. ما لم يكن مقرراً تدميرها نهائياً .. والأمل في رحمة الله يمنع من توقع هذا المصير البائس) .

ويقول : (وحين نتلفت من حولنا في الماضي والحاضر .. لا نجد الحلّ المقترح لتجنيب البشرية ذلك الدمار ، وللخروج بها من هذه الأزمة الحادة ، وللاحتفاظ بالإنسان عن طريق الاحتفاظ بخصائصه الإنسانية – احتفاظاً نامياً متجدداً – إلا في العقيدة الإسلامية والمنهج الإسلامي والحياة الإسلامية ، والمجتمع الإسلامي) .

يجب أن يعلم الداعي والداعية أنه لا خلاص من هذا الخطر إلا بالرجوع إلى الله .. ومن هنا يتبيّن الدور الذي ينبغي أن يقوم به الرجل والمرأة في البناء .

إن الانهيار الخلقي .. والأزمة الروحية .. وسيطرة النـــزعة المادية .. والاستغراق في تتبع اللذائذ من أي طريق كان .. إن ذلك كله عدوان على فطرة الإنسان ومحاولة لمسخها وتدميرها .. وهنا تبدو المهمة الكبرى لمن يتصدى للإصلاح والبناء .

هذا من ناحية ، وهناك هجوم شرس على الإسلام الذي يبدو أنه هو المنقذ الوحيد وقد قام بهذا الهجوم الصليبية العالمية واليهودية وبذلتا جهوداً جبارة في تشويه صورة هذا الدين .. ثم عملتا على حصره في دائرة الاعتقاد الوجداني والشعائر التعبدية ومنعه من التدخّل في نظام الحياة والمعاملات الاجتماعية والاقتصادية ، ومنعه من السيطرة الكاملة على كل نشاط واقعي في الحياة .

وقالوا بخبث ومكر : لا ضير في أن يكون المسلم موحداً بلسانه وضميره ، مؤدياً للصلوات والنوافل كاملة .. فهذا لا مانع منه .. أما في الجوانب الأخرى فينبغي أن يخضع لأنظمة جديدة تمليها المعاصرة ، وأن يكون التحاكم إلى القوانين الأجنبية وبذلك تتعطل أحكام الشريعة ، فتباح المحرمات ، وتنطلق الشهوات .

يقول الله تعالى : ﴿ ... **وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ** ... ﴾ [المائدة : ٤٩] وأنكر سبحانه على بني إسرائيل أن يؤمنوا ببعض الكتاب ويكفروا ببعضه فقال : ﴿ ... **أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى**

أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة : ٨٥] ثم تلت هذه الخطوات خطوات .. وقد حذرنا ربنا في أكثر من آية فقال : ﴿ ... **لاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ** ... ﴾ [النور : ٢١] .

هذا أمر مهم أن تكون الأخت المسلمة وهي تبلّغ العقيدة على علم بالواقع وبخطط الأعداء .

إنّ دور المرأة في تبليغ العقيدة التي هي أهم الأسس التي يقوم عليها بناء الأمة دور عظيم .. إن عليها تبليغ العقيدة الصحيحة لمن حولها من أولاد وزوج وقريبات وأقرباء وصديقات وزميلات وجارات .

ولتقوم بهذه المهمّة على الوجه الأمثل ينبغي أن تقوم المؤسسات المتعددة من بيت ومدرسة وإذاعة وصحافة وتلفاز بإعدادها الإعداد العلمي والسلوكي .

لقد كان المجتمع في الماضي يسمح بأن يصل صوت الإسلام ومبادئه وأحكامه إلى المرأة ؛ ذلك لأن المجتمع يومذاك في أصقاع العالم الإسلامي كلّه كان قائماً على الشريعة الإسلامية في شتّى جوانب الحياة ، ولأن الشخصية المسلمة كانت ما تزال متماسكة وقوية ومتميزة ، ولأن الثقافة الإسلامية من فقه وتوحيد وتفسير وحديث وأخلاق كانت الإطار الثقافي الوحيد الذي تقع ضمنه عقول الناس جميعاً من عامة ومثقفين ، وكان تأثر المرأة متحققاً عن طريق البيت الإسلامي وعن طريق الكتاتيب التي كانت هي المدارس وعن طريق الرجل أباً كان أو زوجاً ، وكان هذا التأثر عظيماً جداً . ومن ثم لم يشعر الدعاة وأهل العلم بالحاجة الماسّة إلى أن يولوا موضوع إعداد المرأة الإعداد الذي يمكنها من القيام بهذه المهمة .. إلى أن يولوا هذا الموضوع الأهمية البالغة التي نشعر بضرورتها اليوم .

وجاء هذا العصر الحاضر فكان فيه أمران خطيران هما :

تسميم مناهج التعليم ، وتضليل أدوات التوجيه في كثير من بلاد المسلمين

– أما مناهج التعليم فقد وضعت في معظم بلاد المسلمين في القرن الماضي من قبل أعداء الأمة ودينها .. وضعت ليتخرج بها الذكور والإناث على حدٍّ سواء ، فأصبحت المرأة معرّضة إلى مخاطر الشك والزيغ والعياذ بالله تعالى .

– وأما أدوات التوجيه في كثير من بلاد المسلمين .. هذه الأدوات التي استطاعت التقنية الحديثة أن توصل تأثيرها إلى كل بيت ، وتنفذ بها إلى كل وسط ، فقد كانت في معظمها معاول تهدم صرح الخلق الإسلامي النظيف ، وتزلزل أركان العرف الإسلامي القديم ، ولا سيما بعد أن غزتنا هذه الفضائيات .

إن مناهج التعليم وأدوات الإعلام أوجدت قطاعاً من أبناء المسلمين وبناتهم في كثير من البلاد يجهلون كثيراً من أسس العقيدة الإسلامية الصحيحة ومن أحكام الدين ، ودخلت عليهم شبه عديدة .

ينبغي أن نعترف بالواقع وأن نواجهه بالإصلاح ، إن التهرب من الحقيقة لا يصنع شيئاً .

وقد كان للعلماء العاملين ، والدعاة المخلصين فضل في معالجة هذا الواقع الأليم بالنسبة إلى الذكور ، ولكن المرأة كانت بمعزل عن هذه العناية لأسباب عدة لا مجال لتعدادها . وبذلك فقد حُرِمَتِ المرأة في بعض بلاد المسلمين من سماع صوت الإسلام الذي كان المجتمع في الماضي متكفلاً بإيصاله إليها ، لأن المجتمع قد تغيّر ، وخضعت المرأة في الوقت نفسه لمؤثرات طاغية من التضليل والإغواء .

ولم يصب المرأة ما أصاب الرجل – كما قلنا – من اهتمام أهل العلم ، فلم تكن تحضر المحاضرات ولم تكن تدرس في الكليات الدينية ، لأنه لم يكن ذلك مسموحاً به ... بينما نجد الرجل يحضر دروس العلم والمحاضرات ، ويدرس في الكليات الدينية و .. و ..

أفليس من المؤلم أن يبقى نصف المجتمع بعيداً عن سماع صوت الحق ، ويبقى حقلاً خصباً لأعداء الإسلام ، لا يجدون فيه منافسا .

إنَّ المرأة بالنسبة إلى كل مسلم أم وأخت أو بنت أو زوجة .. أوليس من الواجب أن تحظى أمهاتنا وأخواتنا وبناتنا وزوجاتنا بالعناية فيما يعود عليهن وعلى أسرهن وأمتهن بالخير والسعادة في الدنيا والآخرة ؟

ونحن نرى أن المرأة أصبحت ذات تأثير على المجتمع من جوانب متعددة فهي أمٌّ تخرج الأجيال ، وهي زوج تؤثر على الرجال ، وهي عملياً تشغل كثيراً من المناصب والوظائف في التعليم والطب ونحو ذلك .

فهل يجوز أن نسقط من حسابنا كل هذه الطاقات نحن معشر المسلمين ؟

إنّ الشاب المسلم المتدين كان يعاني في كثير من الأحيان أزمة مستحكمة عندما لا يستطيع أن يجد الزوجة التي تكون له عوناً على المصاعب التي يلاقيها الرجال ، تذكره أن نسي وتشد من عضده إن ذكر ، وتكون له عوناً على سلوك الطريق المستقيم مهما لقي فيه من العقبات .

وكم سمعنا من مآسي كثير من الشباب المؤمنين بسبب الزواج ..مآسٍ تجعلهم في شقاء دائم عندما لا يجد أحدهم شريكة الحياة التي تشاركه في منطلقاته الفكرية ولا تعاونه على الخير .

إن كل ما تقدّم يوضّح الحاجة الملّحة إلى العناية بالمرأة .. وعلى العاملين في الدعوة الإسلامية أن يفكروا في الوسائل العملية إلى هذه العناية وعليهم أن يفيدوا من ثمرات التقنية الحديثة .

وهنا تأتي مهمّة الأخوات الصالحات القادرات على الكتابة والمحاضرة والخطابة .. إنّ عليهنّ أن ينشطن في هذا المجال ، ويعدّدن الوسائل الكافية لإعداد الداعيات بكل الأساليب الممكنة .. وأن يشعرن بالمسؤولية الضخمة ..

إنّ عليهن أن يرجعن إلى العلماء يسترشدن بآرائهم .. وإننا لنحمد الله سبحانه أن كثيراً من البشائر قد أضحت حقائق واقعة فقد قامت صحافة نسائية ملتزمة بالإسلام .. وأنشئت إذاعات للقرآن الكريم وفق الله المسؤولين فيها إلى المزيد من الخير ..

وكذلك فقد أصبح الهاتف وسيلة جيّدة لمعرفة حكم الله ، وذلك عن طريق الاتصال بالعلماء وسؤالهم .

عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

" خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ " متفق عليه